٣١- باب قول الله تعالى:

إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ آل عمران: ١٧٥

وقوله: ﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ التوبة: ١٨ **وقوله:** ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ العنكبوت: ١٠

عَنْ أَبِي سَعِيْد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَرْفُوْعًا (إِنَّ مِنْ ضَعْف اليَقِيْن أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَط اللهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْق اللهِ ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ، إِنَّ رِزْقَ اللهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيْصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ). (١)

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا؛ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (مَنِ التَمَسَ رِضَى اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ؛ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَى النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ؛ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ). رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيْحِهِ. (٢)

فِيْهِ مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ آيَةِ (آلِ عِمْرَانَ).

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيْرُ آيَةِ (بَرَاءَةَ).

---

١) رواه أبو نعيم في الحلية برقم (١٠٦/٥) ؛ (٤١/١٠) ؛ والبيهقي في الشعب برقم (٢٠٣) ، والسلفي في الطيوريات برقم (١١٢٩) .
٢) رواه ابن حبان برقم (٢٧٦) ؛ وعبد بن حميد برقم (١٥٢٢) ؛ والقضاعي في مسند الشهاب برقم (٤٩٩ ؛ ٥٠٠) .

الثَّالثَةُ: تَفْسِيرُ آيَة (العَنْكَبُوت).

الرَّابِعَةُ: أَنَّ اليَقِيْنَ يَضْعُفُ ويَقْوَى.

الخَامِسَةُ: عَلَامَةُ ضَعْفِه، وَمنْ ذَلكَ هَذه الثَّلَاثُ.

السَّادِسَةُ: أَنَّ إِخْلَاصَ الخَوْفِ لِلَّه مِنَ الفَرَائِضِ.

السَّابِعَةُ: ذِكْرُ ثَوَابِ مَنْ فَعَلَهُ.

الثَّامِنَةُ: ذِكْرُ عِقَابِ مَنْ تَرَكَهُ.

الشرح:

هذا الباب يذكر فيه المصنف عبادة قلبية كما ذكر في الباب الماضي باب {المحبة} وهي من العبادات القلبية ورأس العبادات القلبية ثلاث: (المحبة، والخوف، والرجاء) وهي متلازمة لأن المحب خائف راجٍ ؛ فالمحب دائماً في خوفٍ وفي رجاء فهو بين خوفٍ أن لا يقبل عمله وبين رجاء وطمع في فضل الله سبحانه وتعالى وحسن الظن أن يقبل عمله يجعله ومن المقبولين

والخوف هو عبادة من العبادات وهو فريضة من الفرائض ؛ فإخلاص الخوف لله جل وعلا هو فريضة من الفرائض وهو من أشرف مقامات الدين ؛ وأهل العلم يقسمون الخوف بوجه عام إلى ثلاثة أقسام :

<u>القسم الأول:</u> الخوف الطبيعي (الطبعي) .

<u>القسم الثاني:</u> الخوف المذموم .

<u>القسم الثالث:</u> الخوف المحمود .

الخوف الطبيعي كأن يخاف الإنسان مما يخاف منه الناس ؛ فيخاف من ذئب أو يخاف من كلب أو من سبع أو من ظالم معتدٍ أو عدو خائن هذا خوف طبيعي، موسى عليه السلام وهو كليم الله وهو القوي الذي كان فيه قوة وشدة ومع ذلك قال الله عنه: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾القصص: ٢١ لما عرف أنهم

يتوعدونه لكي يقتلوه خرج منها خائفاً هذا خوف طبيعي ﴿ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ٦٧ ﴾ طه: ٦٧ عندما ألقي بالحبال وانقلبت إلى حيات أوجس في نفسه خيفة وهو كليم الله جل وعلا ، فهذا خوف طبيعي لا إشكال فيه إذا كان مما يخاف منه فعلاً ولم يصل إلا حد الجبن الذي سنكره .

الخوف المذموم ومنه ما يكون شركاً ومنه ما لا يكون شركا ويكون محرماً، فالخوف المذموم منه ما يكون من الشرك الأكبر وهذا يعرف عند العلماء بـ (خوف السر) وخوف السر هذا إذا وقع فيه الإنسان يسقطه والعياذ بالله في الشرك الأكبر وهو أن يخاف من غير الله من أوثان أو من طاغوت من الطواغيت أو ولي من الأولياء أو ميت من الأموات خوفا باطني ؛ أي يظن أن هذا الميت أو هذا الولي أو هذا الوثن يصيبه من بعد أو قرب وهو وثن، أو ميت، أو ولي، أو قبر، أو ضريح، أو صنم، أو خشبة أو نحو ذلك يخاف منه من داخله فيدعوه ذلك إلى الطاعة الباطنة ويزجره عن معصيته أي يخاف أن يعصيه فإذا قلت له احلف برأس هذا الولي وهو كاذب يخاف أن يحلف كاذبا يخاف حتى لا يضره هذا الولي أو هذا الميت يؤذيه ـ زعما منه ـ وهذا النوع من الخوف شرك أكبر .

وقد يكون الخوف مذموما لا يصل للشرك الأكبر ولكنه يوقع الإنسان في المحرم الذي ينافي كمال التوحيد الواجب ؛ كمن يترك الطاعة خوفاً من ذم الآخرين ؛ فيخاف أن يصلي في الجماعة حتي لا يعرف مديره في العمل أن هذا شخص متدين أو مستقيم أو يظن أنه إذا رآه يصلي في الجماعة يهدده أو يخصم عليه مالاً ونحو ذلك فترك الواجب من أجل الخلق وارتكب المحرم من أجل الناس بدون عذر ؛ وكذلك قد يرتكب معصية من أجل الناس خوفاً منهم بدون عذر كأن يشرب الدخان ويحلق لحيته مثلاً أو يفعل شيئا من هذه المعاصي لأن بعض من يخاف منه إن ترك فعل هذا المنكر وعصاه فيؤثر على وظيفته أو ربحه أو تجارته أو بيته فهذا غير مكره ، ولكنه لا يصل إلى الشرك الأكبر الذي منه خوف السر.

وقد قال الشيخ السعدي في خوف الجبن: **{هو من الأخلاق الرذيلة ولهذا كان الإيمان التام والتوكل والشجاعة تدفع هذا النوع}** أي تدفع الجبن فالمؤمن الذي عنده إيمان قوي وتوكل وشجاعة تدفع عنه الجبن فلا يكون جباناً يقول: **{حتي إن خواص المؤمنين وأقويائهم تنقلب عندهم المخاوف أمناً وطمأنينة لقوة إيمانهم وشجاعتهم – الشجاعة القلبية- ولكمال توكلهم}** أهـ. أي كلما قوي إيمان الإنسان وتوكله على الله سبحانه وتعالى تنقلب عنده المخاوف أمناً وطمأنينة. إذاً المؤمن الذي تمكن الإيمان من قلبه والخوف من الله جل وعلا وحده من قلبه تنقلب عنده المخاوف إلى شجاعة وقوة ؛ وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ من الجبن .

الخوف الشرعي ـ خوف العبادة ـ والذي يكون صرفه لغير الله شركا ويكون معه التذلل والخضوع لله سبحانه وتعالى ؛ فيجب على العبد أن يخلص الخوف لله جل وعلا ؛ والخوف المحمود هو ما حجز العبد عن محارم الله أي يجعل العبد يبتعد عن ما حرم الله قال الله تعالى ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ﴾ الرحمن: ٤٦ ، ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ إبراهيم: ١٤ ، وذكر الله جل وعلا أن ملائكته يخافونه فقال: ﴿ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الأنبياء: ٢٨ ، ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ النحل: ٥٠ . وسيأتي الكلام على الفرق بين الخوف والخشية.

وذكر الله جل وعلا عن أنبيائه ورسله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٩ . إذاً هذا خوف الملائكة، فخوف الأنبياء والمرسلين وقال في عموم الناس: ﴿ فَلَا تَخْشَوُا

ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ ﴾ المائدة: ٤٤ وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِ ﴾ المائدة: ٣

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : {الخوف عبودية القلب فلا يصلح إلا لله كالذل والإنابة والمحبة والتوكل والرجاء} القلب له عبودية كما أن الجوارح لها عبودية واللسان له عبودية، والخوف من عمل القلب وكذلك المحبة من عمل القلب والتوكل من عمل القلب فكما أن الذلة والمحبة والإنابة والتوكل والرجاء كلها لا تكون إلا لله فكذلك الخوف والخشية لا تكونان إلا لله جل وعلا.

الدليل الأول :

قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ ﴾ آل عمران: ١٧٥ هذه الآيات في سياق الآيات التي في سورة آل عمران: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ ﴾ آل عمران: ١٧٣ بعد غزوة أحد وما حصل على المسلمين وبعد ما انتهت الغزوة أخذ المشركون طريقهم إلى مكة ثم إن أبا سفيان راجع نفسه وقال: لماذا لا نرجع إلى المدينة ونجهز على المسلمين ؛ فتجهزوا للرجوع فلما علم الرسول صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه الذين خرجوا في أحد أن يتجهزوا للخروج مرة أخرى ولا يخرج أحد سواهم فخرجوا ونزلوا في منطقة تسمى (حمراء الأسد) فلما علم أبو سفيان ومن معه أن المسلمين رجعوا إليهم في عدتهم وعتادهم خافوا منهم وخافوا أن يكونوا أتوا بعدة جديدة وقوة جديدة ففروا هاربين إلى مكة فقال الله جل وعلا :﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴾ آل عمران: ١٧٣ قالها المؤمنون، ﴿ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ

وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ ﴾ آل عمران: ١٧٤ أي أخذوا أجر الغزوة وأجر الخروج ولم يمسهم سوء ﴿ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ آل عمران: ١٧٤ ثم قال: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ ﴾ آل عمران: ١٧٥ **(إنما)** تفيد الحصر ، **(الشيطان)** إما أن تكون عطف بيان أو بدلا **(يخوف أولياءه)** أي يخوفكم بأوليائه ، فالمفعول هنا محذوف : (يخوف المؤمنين المشركين) مفعول أول ومفعول ثاني .

فالمسلمون رجعوا من هذه الغزوة مع هذا الذي أصابهم من القرح والآلام والجروح ومع ذلك دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم مرة أخرى للخروج فجاءهم من يقول لهم ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ آل عمران: ١٧٣ وهو أبو سفيان ومن معه حتي يلقي في قلوبهم الرعب ،

وقال قتادة : "يعظمهم في صدوركم" أي يعظم شأنهم في صدوركم لتخافوا منهم كما يحصل الآن تهويلٌ بشأن الكفار ومن شأن المشركين ومن شأن الأمريكان ومن شأن اليهود وعندهم من العدة والعتاد كذا وكذا وكذا وصنعوا كذا حتى يلقي الشيطان الخوف في قلوب المؤمنين أو الناس بعامة فلا تقوم لهم قائمة في مواجهة هؤلاء الكفار .

فقال تعالى : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ ﴾ آل عمران: ١٧٥ ثم أتبعها بأمرٍ ﴿ وَخَافُونِ ﴾ آل عمران: ١٧٥ هذا أمر يدل على وجوب الخوف من الله جل وعلا ؛إذا هذا أمر واجب فيجب أن تخاف الله جل وعلا وتخلص الخوف له وحده جلا وعلا ولا تخاف أحداً أعظم من خوفه جل وعلا، ثم ذكر أن هذا شرط من الشروط ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران: ١٧٥ أي خافون وتوكلوا علي فإني ناصركم وكافيكم هؤلا ؛ فمن توكل على الله كفاه ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ آل

عمران: ١٧٥ هذا شرط للإيمان وبيان أن الإيمان يقتضي أن تؤثروا خوف الله جل وعلا على خوف الناس ؛ فإن كنت مؤمناً حقاً فلا تقدم خوف أحدٍ من المخلوقين أبداً كائنا من كان على خوفك من الله جل وعلا .

فالإنسان لا يقدم خوف أحد على خوف الله لأن كل من فوق التراب تراب ؛ فكيف يقدم خوف الذي سيؤول إلى تراب على خوف رب الأرباب الملك الوهاب سبحانه وتعالى ؟ ويذكرون بيتاً يقولون فيه :

إذا صح منك الود يا غاية المنى فكل الذي فوق التراب تراب

وقد ذكر هذا البيت ابن رجب في كتابه **[نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي لابن عباس]** .

أي إذا صحت المحبة من الله جل وعلا لعبده .

(الود) أي الحب ، ومثل هذا البيت للمتنبي ويزيد فيه **(إذا صح منك الود فالكل هين)** وينسب إلى أبي فراس الحمداني .

فعلى الإنسان استحضار هذا المعنى : أن كل من فوق التراب سيؤول إلى تراب .

قال الشيخ السعدي رحمه الله في شرح هذه الآية في التفسير: فلا تخافوا المشركين أولياء الشيطان فإن نواصيهم بيد الله أي لماذا تخافوهم ورقابهم بيد الله سبحانه وتعالى؟! والناصية مقدمة الرأس ؛ ثم يقول: {لا يتصرفون إلا بقدره} أي ما أصابك من أذى من المشرك فبقدر الله ؛ وما أصابك من خير عموماً فبقدر الله ؛ يقول: بل خافوا الله الذي ينصر أولياءه المستجيبين لدعوته

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ غافر: ٥١ فالله جل وعلا ناصر دينه وكتابه ورسوله والمؤمنين .

الدليل الثاني :

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ التوبة: ١٨ قبلها يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ﴾ التوبة: ١٧ المشركون يظنون أنهم عمار المساجد وعمار بيت الله الحرام مع أنهم يشهدون على أنفسهم بالكفر بأقوالهم وأفعالهم ، أما بالأقوال فهم يقولون : {لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك} (١) وأما أفعالهم كذبحهم للأصنام ودعائهم الأوثان ونحو ذلك.

ويقول بعض المفسرين: {لو سألت النصراني : ما دينك ؟ لقال : نصراني ، واليهودي : ما دينك ؟ لقال يهودي ، والصابئي لقال : صابئي ، والمشرك لقال : مشرك} لا يقول هو موحد فربنا يقول: ﴿شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ﴾ أي أنهم شاهدون على أنفسهم أنهم كفار بأقوالهم وأفعالهم فالله جل وعلا يذكر في هذه الآية ما يرد به عليهم ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ التوبة: ١٨ وعمارة مساجد الله العمارة الحقيقية ليست ببناء المساجد وتنظيفها فحسب ، ولكن كل هذا لابد أن يكون معه شرط أن تخلو هذه العمارة من الشرك والبدع ؛ فالذي يعمر المساجد ويظن أنه يعمرها وهو يعمرها بالبدع والشرك كالذي يعمل حضرة في المسجد ونحو ذلك، وكمن يدعو غير الله جل وعلا فهذه ليست عمارة ؛ هذه تخريب في بيوت الله

---

(١) مسلم (١١٨٥) .

جل وعلا لذلك ربنا يقول: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ التوبة: ١٨ عمارة بالإيمان ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ التوبة: ١٨ بالعمل الصالح إذا العمارة بالإيمان والعمل الصالح ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ التوبة: ١٨ هذا نفي واستثناء **(لم)** نافية، و**(إلا)** استثناء هذه تحصر وتقصر الخشية في الله جل وعلا هذا أسلوب حصر وقصر ؛ أي تجعل الخشية لله وحده .

كثير من أهل العلم لا يذكرون فرقاً بين الخوف والخشية، لكن بعض أهل العلم يذكر فرقاً بين الخشية والخوف منهم الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى يقول:

أ ـ الخشية أعم والخوف أخص الخشية تكون عن علم أي تتبع العلم بالمخشي أي بمن تخشاه ، أما الخوف فقد يقع من إنسان جاهل ليس عنده علم لكن حصل عنده خوف لأي سبب من الأسباب .

ب ـ وكذلك يقول إن الخشية تكون بسبب تصور عظمة المخشي ، بخلاف الخوف قد يخاف الإنسان لأنه جبان مثلاً لا يتحمل الألم ولا يتحمل الوعيد وغير ذلك .

إذاً هذان فرقان يحتاجان مزيد من التأمل وتتبع النصوص ؛ وقد ذكر العسكري في كتاب الفروق معنى آخر . كثير من أهل العلم وخاصة أهل التفسير يفسرون هذه بتلك ولا يفرقون بينهما (الخشية والخوف)،

يقول ابن عطية صاحب التفسير المشهور في قوله : (ولم يخش إلا الله) خشية التعظيم والعبادة والطاعة .

"فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين" : قل ابن عباس : (عسى) عسى من الله واجبة ، وقال البغوي رحمه الله تعالى: (المهتدين) المتمسكين بطاعة الله جل وعلا التي تؤدي إلى الجنة.

الدليل الثالث:

وقوله: "ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصرٌ من ربك ليقولن إنا كنا معكم"

هذه كقوله تعالى : **"ومن الناس من يعبد الله على حرف"** أي على طرف "فإن أصابه خير اطمئن به" لم يحصل له مشكلات ولا فتن ولا ابتلاء لم يفتنه أحد في دينه ؛ بل يطمئن ويستمر على دينه ؛ وكثير من الناس على هذا كما يقول الذهبي رحمه الله تعالى : كثير من المسلمين على هذا إن أكرمهم الله وماتوا قبل أن تصيبهم فتنة نجوا وإن حصل فيه ابتلاء حصل فيه الردة والعياذ بالله فالإنسان يحمد الله على العافية .

"ومن الناس من يقول أمنا بالله" أي بلسانه، "فإذا أُذي في الله" أي أخذته فتنة ، "في الله" **(في)** بمعنى **(بسبب)** أي أوذي بسبب إيمانه ؛ أو تكون ظرفية بسبب إيمانه أي ابتلي في شريعة الله .

"جعل فتنة الناس كعذاب الله" أي أنه لم يتحمل أذي الناس له بسبب ايمانه واستقامته فقدم رضي الناس ولم يصبر على أذاهم فقدمه على عذاب الله في الدنيا أو الآخرة .

أي قدم الأذى الذي يصيبه من الناس على عذاب الله له ؛ أذاهم الذي ينال الرسل وأتباع الرسل الرسل دائماً مبتلون بأعدائهم وأتباع الرسل الدعاة والمصلحون طلاب العلم وعموماً أهل الإيمان مبتلون بأعدائهم من الكفار والمشركين من اليهود والنصاري والعلمانيين والصابئة الملاحدة وغير ذلك **"ولن ترضي عنك اليهود ولا النصاري حتي تتبع ملتهم"** إذا أصابه هذا الابتلاء لا يصبر فيرتد عن دينه ويقع في عذاب الله أو لا يرتد عن دينه

ويعمل بمعصية الله فيقع في الألم الذي يصيبه من عذاب الله له ، ففر من ألم عذاب هؤلاء إلى عذاب الله .

وابن القيم رحمه الله تعالى يقول : ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ حَالِ الدَّاخِلِ فِي الإِيمَانِ بِلاَ بَصِيرَةٍ، وَأَنَّهُ إِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ لَهُ كَعَذَابِ اللهِ، وَهِيَ أَذَاهُمْ لَهُ، وَنَيْلُهُمْ إِيَّاهُ بِالْمَكْرُوهِ وَالأَلَمِ الَّذِي لاَ بُدَّ أَنْ يَنَالَهُ الرُّسُلُ وَأَتْبَاعُهُمْ مِمَّنْ خَالَفَهُمْ ، جَعَلَ ذَلِكَ فِي فِرَارِهِ مِنْهُمْ وَتَرْكِهِ السَّبَبَ الَّذِي نَالَهُ كَعَذَابِ اللهِ الَّذِي فَرَّ مِنْهُ الْمُؤْمِنُونَ بِالإِيمَانِ، فَالْمُؤْمِنُونَ لِكَمَالِ بَصِيرَتِهِمْ فَرُّوا مِنْ أَلَمِ عَذَابِ اللهِ إِلَى الإِيمَانِ، وَتَحَمَّلُوا مَا فِيهِ مِنَ الأَلَمِ الزَّائِلِ الْمُفَارِقِ عَنْ قَرِيبٍ، وَهَذَا لِضَعْفِ بَصِيرَتِهِ فَرَّ مِنْ أَلَمِ عَذَابِ أَعْدَاءِ الرُّسُلِ إِلَى مُوَافَقَتِهِمْ وَمُتَابَعَتِهِمْ، فَفَرَّ مِنْ أَلَمِ عَذَابِهِمْ إِلَى أَلَمِ عَذَابِ اللهِ، فَجَعَلَ أَلَمَ فِتْنَةِ النَّاسِ فِي الْفِرَارِ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ أَلَمِ عَذَابِ اللهِ، وَغُبِنَ كُلَّ الْغَبْنِ إِذِ اسْتَجَارَ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ، وَفَرَّ مِنْ أَلَمِ سَاعَةٍ إِلَى أَلَمِ الأَبَدِ ، وَإِذَا نَصَرَ اللهُ جُنْدَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ قَالَ : إِنِّي كُنْتُ مَعَكُمْ ، وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا انْطَوَى عَلَيْهِ صَدْرُهُ مِنَ النِّفَاقِ .أهـ ([1])

أي جعل ألم فتنة الناس بمنزلة ألم عذاب الله ففر من ألم ساعة إلى ألم الأبد . ألم الناس مهما كان لم يدم ؛ أما ألم الدنيا فهو ألم ساعة ؛ ولكن يفر من هذا الألم إلى العذاب الأبدي ،

ثم قال رحمه الله : إنما الشجاعة صبر ساعة ، قد جعل الله لكل شئ قدرا كل شئ له كتاب وله نهاية لكن الإنسان هو الذي يجزع ؛ فالمؤمنون لكمال بصيرتهم فروا من ألم عذاب الله إلى الإيمان ، هذا عكس حال الذين ذكرهم ثم يقول: وتحملوا ما فيه من ألم ، لكنه الألم الزائل المفارق عن قريب ـ فالاستقامة لابد أن يكون معها آلام ، هذا الألم الذي يصيب المؤمن المبتلى سيفارق عن قريب ـ وهذا لضعف بصيرته فر من ألم أعداء الرسل إلى موافقتهم ومتابعتهم ففر من ألم عذابهم إلى ألم عذاب الله .

([1]) انظر زاد المعاد (١٦/٣) ؛ ط مؤسسة الرسالة .

أي وافق الأعداء لخوفه من الإبتلاءات والآلام التي تصيب جسده ففر من ألم أعداء الرسل إلى متابعة أعداء الرسل وأعداء الله .

في هذه الآية الكريمة فائدة ذكرها الشيخ سليمان بن عبدالله صاحب كتاب[تيسير العزيز الحميد] ، وشرحها الشيخ عبد الرحمن بن حسن في فائدة جميلة يرد فيها على المرجئة والكرامية : ووجهه أنه لم ينفع هؤلاء قولهم "آمنا بالله" مع عدم صبرهم على أذى من عاداهم في الله ، فلا ينفع القول والتصديق بدون عمل فلا يصدق الإيمان الشرعي على الإنسان إلا باجتماع الثلاثة وهي التصديق بالقلب وعمله ، القول باللسان والعمل بالأركان وهذا قول أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً}

فالأشاعرة يقولون : الإيمان التصديق فقط ، والجهم بن صفوان وأبو الحسن الأشعري في أحد قوليه يقول: الإيمان المعرفة ، أبو الحسن الأشعري كان معهم على هذا القول الذي هو أحد أقوال الأشاعرة .

ومرجئة الفقهاء يقولون : الإيمان قول اللسان وتصديق القلب ويخرجون العمل

فلا يصدق الإيمان الشرعي عند أهل السنة إلا باجتماع الثلاثة: تصديق القلب وعمله والقول باللسان والعمل بالأركان .

الدليل الرابع :

قال: عن أبي سعيد مرفوعا: "إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره".

اليقين ضد الشك أو الريب والمقصود به هنا كمال الإيمان أن ترضي الناس بسخط الله أي توافقهم على ترك المأمور وفعل المحظور؛ فأنت ترى أن النعمة قد جاءتك عن طريق فلان فتنسى المتفضل بها والرازق لها وبها ولا تذكر إلا فلانا فتحمده مع أنه السبب وتنسى المسبب وهو الله عز وجل الذي رزقك بهذه النعمة ؛ ومعنى هذا ليس أنك لا تشكر الناس بل في الحديث : من

لا يشكر الناس لا يشكر الله ([1])، يشكر الناس ويحمد لهم ويعظم لهم الثناء لكن يعلم أن المتفضل بهذا الرزق هوالله جل وعلا ؛ فالإنسان يأخذ بالأسباب ويسعى ومهما عمل فلن يأتيه إلا ما قدر له ، الأسباب المشروعة التي أمر الله جل وعلا بها لأن كل شئ بقضاء وقدر، قد يجتهد الطالب ويذاكر ولكن يوم الاختبار يحدث له حادث فيرسب . هذا الحديث حديث ضعيف ورواه البيهقي في شعب الإيمان وأبو نعيم في الحلية وقال بعدما رواه: حديث غريب تفرد به على بن محمد بن مروان السدي عن أبيه السدي الصغير وهو متهم بالكذب وكذلك هذا في الحديث عطية العوفي قال الذهبي ضعفوه وفي هذا الحديث كذلك موسى بن بلال وقال فيه الأزدي ساقط ؛ ولذلك المؤلف عقبه بحديث عائشة .

الدليل الخامس :

وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس؛ ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس" رواه ابن حبان في صحيحه.

جاء في رواية الترمذي : "كفاه الله مؤنة الناس"([2]) أي من كان همه إرضاء الله جل وعلا استراح من الناس لأن القلوب بيد الله جل وعلا يصرفها كيف يشاء وهو القادر على أن يجعل المحبة في قلب هذا العبد بين الناس وهو القادر على أن يجعل السخط والكراهية والبغض في قلوب الناس لهذا الشخص، "ومن التمس رضى الناس بسخط الله" أي التمس رضى الناس لخوفه منهم هذا هو الشاهد لذلك .

في رواية الترمذي : "وكله الله إلى الناس" أي شخص لا يهمه أن يرضي الله وكله الله إلى الناس وإلى نفسه ومن وكله الله إلى نفسه طرفة عين أو أقل من ذلك هلك.

---

[1]) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (٢١٩) .
[2]) رواه الترمذي في سننه برقم (٢٤١٤) .

ومعاوية رضي الله عنه وأرضاه أرسل إلى عائشة برسالة يقول لها: اكتبي لي وصية ولا تكثري على حتي لا أنسي فكتبت له هذا الحديث .

ابن القيم يقول: {فالحزم كل الحزم في الأخذ بما قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها} والحديث روي مرفوعا وموقوفا ذكره ابن القيم في [إغاثة اللهفان] وبعضهم يذكره في أبواب ما ينبغي أن يكون الحاكم عليه وغيره، الإنسان إذا وضع في عقله أو في قلبه أنه في حكمه لا يخشى إلا الله ولا يرضي إلا الله وإن سخط منه الناس عدل في حكمه وقسط. فهذا الحديث رواه ابن حبان واللفظ له والترمذي والشهاب والبيهقي في كتابه [الزهد الكبير] .

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: {إن الله إذا قضى قضاءً أحب أن يُرضى به}، وقال ابن مسعود: {إن الله بقسطه وعدله جعل الرَوح والفرج في اليقين والرضى} أي الرضى بقضاء الله جل وعلا ؛ واليقين أي كمال الإيمان فالإنسان يكون عنده يقين بقضاء الله جل وعلا ويقين أنه لا يكون في كونه إلا ما أراد ؛ ويقين في وعده جل وعلا الصادق لأهل الإيمان ، فجعل الروح أي الترويح والفرج في اليقين والرضى وجعل الهم والحزن في الشك والسخط ؛ فالإنسان قد يكون معترضا وفي قرارة قلبه ينظر إلى غيره ؛ فهذا يعيش طيلة عمره في الهم والحزن ؛ والعكس كذلك فالإنسان الذي عنده يقين في قلبه وقناعة ورضى بالله جل وعلا مع ما فيه من الهم والكرب يأتيه الفرج كما قال القائل:

{العبد حرٌ ما قنع، والحر عبد ما طمع} فالعبد حر ما لزم القناعة والحر عبد ما طمع

أما في أمور الدين والطاعة فلينظر الإنسان إلى من هو أعلى منه في الطاعة والعبادة ويرجو أن يكون سعيه أسبق من سعيه إلى الله تعالى .

فِيْه مَسَائِلُ:

الأُوْلَى: تَفْسِيْرُ آيَةِ (آلِ عِمْرَانَ).

سبق الكلام عليها .

الثَّانِيَةُ: تَفْسِيْرُ آيَةِ (بَرَاءَةَ).

سبق الكلام عليها .

الثَّالِثَةُ: تَفْسِيْرُ آيَةِ (العَنْكَبُوْتِ).

سبق الكلام عليها .

الرَّابِعَةُ: أَنَّ اليَقِيْنَ يَضْعُفُ وَيَقْوَى.

وهذا من أدلة أهل السنة في زيادة الإيمان ونقصانه

الخَامِسَةُ: عَلَامَةُ ضَعْفِه، وَمِنْ ذَلِكَ هَذِهِ الثَّلَاثُ.

سبق الكلام عليها .

السَّادِسَةُ: أَنَّ إِخْلَاصَ الخَوْفِ لِلَّهِ مِنَ الفَرَائِضِ.

دليله آية التوبة وقوله : (فلا تخافوهم وخافوني) .

السَّابِعَةُ: ذِكْرُ ثَوَابِ مَنْ فَعَلَهُ.

أن الله وعده بالهداية وهو علامة على إيمانه

الثَّامِنَةُ: ذِكْرُ عِقَابِ مَنْ تَرَكَهُ.

وهي عكس ما سبق . **والله أعلم**